

أحكام القرآن

باب كيفية القصاص .

قال اﻟﻔﻮﻟﻮ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻳﺎ ﺁﻳﻬﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺁﻣﻨﻮﺍ ﻛﺘﺐ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﺘﻠﻰ ﻭﻗﺎﻝ ﻓﻲ ﺁﻳﻪ ﺁﺧﺮﻯ
ﻭﺍﻟﺠﺮﻭﺡ ﻗﺼﺎﺼ ﻓﻤﻦ ﺍﻋﺘﺪﻯ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﻓﺎﻋﺘﺪﻭﺍ ﻋﻠﻴﻪ ﺑﻤﺌﻞ ﻣﺎ ﺍﻋﺘﺪﻯ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﻭﻗﺎﻝ ﻭﺇﻥ ﻋﺎﻗﺒﺘﻢ
ﻓﻌﺎﻗﺒﻮﺍ ﺑﻤﺌﻞ ﻣﺎ ﻋﻮﻗﺒﺘﻢ ﺑﻪ ﻓﺄﻭﺟﺐ ﺑﻬﺬﻩ ﺍﻻﻳﻰ ﺍﺳﺘﻴﻔﺎﺀ ﺍﻟﻤﺌﻞ ﻭﻟﻢ ﻳﺠﻌﻞ ﻻﺣﺪ ﻣﻤﻦ ﺃﻭﺟﺐ ﻋﻠﻴﻪ
ﺃﻭ ﻋﻠﻰ ﻭﻟﻴﻪ ﺃﻥ ﻳﻔﻌﻞ ﺑﺎﻟﺠﺎﻧﻲ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻤﺎ ﻓﻌﻞ ﻭﺍﺧﺘﻠﻒ ﺍﻟﻔﻘﻬﺎﺀ ﻓﻲ ﻛﻴﻔﻴﻪ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻓﻘﺎﻝ ﺃﺑﻮ
ﺣﻨﻴﻔﻪ ﻭﺃﺑﻮ ﻳﻮﺳﻒ ﻭﻣﺤﻤﺪ ﻭﺯﻓﺮ ﻋﻠﻰ ﺃﻱ ﻭﺟﻪ ﻗﺘﻠﻪ ﻟﻢ ﻳﻘﺘﻞ ﺇﻻ ﺑﺎﻟﺴﻴﻒ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﺍﻟﻘﺎﺳﻢ ﻋﻦ
ﻣﺎﻟﻚ ﺇﻥ ﻗﺘﻠﻪ ﺑﻌﺼﺎ ﺃﻭ ﺑﺠﺮ ﺃﻭ ﺑﺎﻟﻨﺎﺭ ﺃﻭ ﺑﺎﻟﺘﻐﺮﻳﻖ ﻗﺘﻠﻪ ﺑﻤﺌﻞﻩ ﻓﺇﻥ ﻟﻢ ﻳﻤﺖ ﺑﻤﺌﻞﻩ ﻓﻼ ﻳﺰﺍﻝ
ﻳﻜﺮﺭ ﻋﻠﻴﻪ ﻣﻦ ﺟﻨﺲ ﻣﺎ ﻗﺘﻠﻪ ﺑﻪ ﺣﺘﻰ ﻳﻤﻮﺕ ﻭﺇﻥ ﺯﺍﺩ ﻋﻠﻰ ﻓﻌﻞ ﺍﻟﻘﺎﺗﻞ ﺍﻻﻭﻝ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﺷﺒﺮﻣﻪ
ﻧﻀﺮﺑﻪ ﻣﺌﻞ ﺯﺭﺑﻪ ﻭﻻ ﻧﻀﺮﺑﻪ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ ﻭﻗﺪ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻜﺮﻫﻮﻥ ﺍﻟﻤﺌﻠﻪ ﻭﻳﻘﻮﻟﻮﻥ ﺍﻟﺴﻴﻒ ﻳﺠﺰﻯ ﻋﻦ
ﺫﻟﻚ ﻛﻠﻪ ﻓﺇﻥ ﻏﻤﺴﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺎﺀ ﻓﺇﻧﻲ ﻻ ﺃﺯﺍﻝ ﺃﻏﻤﺴﻪ ﻓﻴﻪ ﺣﺘﻰ ﻳﻤﻮﺕ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻲ ﺇﻥ ﺯﺭﺑﻪ ﺑﺠﺮ
ﻓﻠﻢ ﻳﻘﻠﻊ ﻋﻨﻪ ﺣﺘﻰ ﻣﺎﺕ ﻓﻌﻞ ﺑﻪ ﻣﺌﻞ ﺫﻟﻚ ﻭﺇﻥ ﺣﺒﺴﻪ ﺑﻼ ﻃﻌﺎﻡ ﻭﻻ ﺷﺮﺍﺏ ﺣﺘﻰ ﻣﺎﺕ ﺣﺒﺲ ﻓﺇﻥ ﻟﻢ ﻳﻤﺖ
ﻓﻲ ﻣﺌﻞ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﻤﺪﻩ ﻗﺘﻞ ﺑﺎﻟﺴﻴﻒ ﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﺑﻜﺮ ﻟﻤﺎ ﻛﺎﻥ ﻓﻲ ﻣﻔﻬﻮﻡ ﻗﻮﻟﻪ ﻛﺘﺐ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻓﻲ
ﺍﻟﻘﺘﻠﻰ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺍﻟﺠﺮﻭﺡ ﻗﺼﺎﺼ ﺍﺳﺘﻴﻔﺎﺀ ﺍﻟﻤﺌﻞ ﻣﻦ ﻏﻴﺮ ﺯﻳﺎﺩﻩ ﻋﻠﻴﻪ ﻛﺎﻥ ﻣﺤﻈﻮﺭﺍ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﻟﻲ
ﺍﺳﺘﻴﻔﺎﺀ ﺯﻳﺎﺩﻩ ﻋﻠﻰ ﻓﻌﻞ ﺍﻟﺠﺎﻧﻲ ﻭﻣﺘﻰ ﺍﺳﺘﻮﻓﻰ ﻋﻠﻰ ﻣﺬﻫﺐ ﻣﻦ ﺫﻛﺮﻧﺎ ﻓﻲ ﺍﻟﺘﺤﺮﻳﻖ ﻭﺍﻟﺘﻐﺮﻳﻖ
ﻭﺍﻟﺮﻭﺿﺦ ﺑﺎﻟﺠﺎﺭﻩ ﻭﺍﻟﺤﺒﺲ ﺃﺩﻯ ﺫﻟﻚ ﺇﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﻔﻌﻞ ﺑﻪ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻤﺎ ﻓﻌﻞ ﻻﻧﻪ ﺇﺫﺍ ﻟﻢ ﻳﻤﺖ ﺑﻤﺌﻞ ﺫﻟﻚ
ﺍﻟﻔﻌﻞ ﻗﺘﻠﻪ ﺑﺎﻟﺴﻴﻒ ﺃﻭ ﺯﺍﺩ ﻋﻠﻰ ﺟﻨﺲ ﻓﻌﻠﻪ ﻭﺫﻟﻚ ﻫﻮ ﺍﻟﺌﻌﺘﺪﺍﺀ ﺍﻟﺬﻯ ﺯﺟﺮ ﺍﻟﻔﻮﻟﻮ ﻋﻨﻪ ﺑﻘﻮﻟﻪ ﻓﻤﻦ
ﺍﻋﺘﺪﻯ ﺑﻌﺪ ﺫﻟﻚ ﻓﻠﻪ ﻋﺬﺍﺏ ﺃﻟﻴﻢ ﻻﻥ ﺍﻟﺌﻌﺘﺪﺍﺀ ﻣﺠﺎﻭﺯﻩ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻭﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﺃﻥ ﻳﻔﻌﻞ ﺑﻪ ﻣﺌﻞ ﻓﻌﻠﻪ
ﺳﻮﺍﺀ ﺇﻥ ﺃﻣﻜﻦ ﻭﺇﻥ ﺗﻌﺬﺭ ﻓﺇﻥ ﻳﻘﺘﻠﻪ ﺑﺄﻭﺣﻰ ﻭﺟﻮﻩ ﺍﻟﻘﺘﻞ ﻓﻴﻜﻮﻥ ﻣﻘﺘﺼﺎ ﻣﻦ ﺟﻬﻪ ﺇﺗﻼﻑ ﻧﻔﺴﻪ ﻏﻴﺮ
ﻣﺘﻌﺪ ﻣﺎ ﺟﻌﻞ ﻟﻪ ﻭﻗﻮﻝ ﻣﺎﻟﻚ ﺑﺘﻜﺮﺍﺭ ﻣﺌﻞ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﻔﻌﻞ ﻋﻠﻴﻪ ﺣﺘﻰ ﻳﻤﻮﺕ ﺯﺍﺋﺪ ﻋﻠﻰ ﻓﻌﻞ ﺍﻟﻘﺎﺗﻞ
ﺧﺎﺭﺝ ﻋﻦ ﻣﻌﻨﻰ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻭﻗﻮﻝ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻲ ﺃﻧﻪ ﻳﻔﻌﻞ ﺑﻪ ﻣﺌﻞ ﻣﺎ ﻓﻌﻞ ﺗﻢ ﻳﻘﺘﻠﻪ ﻣﺨﺎﻟﻒ ﻟﺤﻜﻢ ﺍﻻﻳﻪ ﻻﻥ
ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﻣﻦ ﺟﻬﻪ ﺃﻥ ﻳﻔﻌﻞ ﺑﻪ ﻣﺌﻞ ﻣﺎ ﻓﻌﻞ ﻓﻘﺪ ﺍﺳﺘﻮﻓﻰ ﻓﻘﺘﻠﻪ ﺑﻌﺪ ﺫﻟﻚ ﺗﻌﺪ ﻭﻣﺠﺎﻭﺯﻩ ﻟﺤﺪ
ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻭﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻣﻦ ﻳﺘﻌﺪ ﺣﺪﻭﺩ ﺍﻟﻔﻮﻟﻮ ﻓﻘﺪ ﻇﻠﻢ ﻧﻔﺴﻪ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﻣﻌﻨﻰ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻫﻮ ﺇﺗﻼﻑ ﻧﻔﺴﻰ
ﺑﻨﻔﺲ ﻣﻦ ﻏﻴﺮ ﻣﺠﺎﻭﺯﻩ ﻟﻤﻘﺪﺍﺭ ﺍﻟﻔﻌﻞ ﻓﻬﻮ ﺍﻟﺬﻯ ﻧﻘﻮﻟﻪ ﻓﻼ ﻳﻨﻔﻚ ﻣﻮﺟﺐ ﺍﻟﻘﺼﺎﺼ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺬﻯ
ﺯﻫﺐ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﺨﺎﻟﻔﻮﻧﺎ ﻣﻦ ﻣﺨﺎﻟﻔﻪ ﺍﻻﻳﻪ ﻟﻤﺠﺎﻭﺯﻩ